مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلـد 6 العـدد 2 / ديسمبر 2020
ص ص: 78-99

مقاومة الظهير البربري لدى الحركة الوطنية إبان الاستعمار

National Movement Resistance against Adahir Barbary during Colonialism

عبد الكريم طبيش
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف– ميلة، (الجزائر)،
a.tebbiche@centre-univ-mila.dz

الاستلام: 2020/11/30 القبول: 2020/12/27 النشر:2020/12/31

ملخص:

وقعت في العصر الحديث من تاريخ الجزائر أحداث أضرت بمستقبل المجتمع المدني والسياسي، ومن هذه الأحداث مسألة الظهير البربري الذي وضع في سلم أولويات القادة السياسيين والعسكريين للمحتل الفرنسي، في حين قامت الحركة الوطنية والإصلاحية خاصة في مطلع القرن العشرين بواجب المواجهة ضد هذا الخطر، فألف روادها الكتب وأصدروا الصحف وكتبوا المقالات.

ما هو الظهير البربري، ومن رواده، وما الهدف منه؟ ما مواطن مبارزة الحركة الوطنية لسياسة المحتل الفرنسي؟ وهل تم لها النجاح في ذلك؟ سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة في هذا المقال المتواضع.

الكلمات المفتاحية : الظهير؛ التبشير، الاستعمار، الحركة الوطنية .

Abstract:

During modern era of Algerian history occurred events which affected the destiny of Algeria both in civilian and political plans. The emergence of " Dahir Barbary "is of these events which had a great importance and got priority to political and military French leaders during Algeria 's occupation. But, Algerian national movement of reform faced this danger by publishing many books, revues in order to prevent from its danger. This study aims to answer to many questions including the meaning of Dahir Barbary, the domains where Algerian national movement intervened and asking about success in its task.

***Keywords**: Dahir, Evangelization, colonialism, national movement; .*

1. مقدمة:

يرى جلُّ الباحثين أن الحرب العالمية الأولى ثم بقية الأحداث التي تلتها قد فتحت أمام الشعب الجزائري عموما، والطبقة المثقفة منه بالأخص، أفقا واسعا غير محدود للتفكير الجاد في تقرير المصير، فقد وضعتهم تلك الأحداث ـــ ثقافيا وسياسيا ـــــ في عهد جديد مميز، وكان(إحدى نتائج الحرب الهامة هي ظهور الأحزاب السياسية الجزائرية).[1]

وإلى جانب دعوات الاتجاهات المختلفة من نجم لشمال إفريقيا كحزب سياسي، والاتجاه المعتدل الذي كان تحت سيطرة قسم من جماعة النخبة، والاتجاه الليبرالي الذي كان يضم القسم المتبقي من تلك الجماعة، فإن الاتجاه الإسلامي العربي كانت تمثله جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تعود أصول دعوتها إلى أفكار حمدان الونيسي(1856–1920) وعبد القادر المجاوي(1848–1914م) وعبد الحليم بن سماية(1866–1933م) والمولود بن الموهوب(1863–1935م)،(وباختصار دعا العلماء إلى استرجاع الشخصية الثقافية العربية الإسلامية للجزائر بواسطة التعليم والوعظ والإرشاد والوسائل الشرعية الأخرى)[2]

من المهم جدا ذكر بعض الأوضاع التي سادت الشمال الإفريقي عند نشأة هذه الجمعية سنة 1931م، لنعرف عن كثب جسامة المسؤولية التي كانت تنتظر هذا المولود الجديد، والعبء الثقيل الذي كان يختبر صبره، وعزيمته، وإرادته، ووعيه، وذكاءه في التعامل مع الأحداث الجديدة. ومن هذه الأوضاع: الصراع الحاد بين الحركات الوطنية والسلطات الاستعمارية(ففي كل قطر هناك السلطة الاستعمارية بإدارتها وشرطتها وقوانينها الجائرة، وهناك القوى السياسية الفاعلة تحت قيادات حديثة العهد بممارسة الاستعمار، كما كانت هناك جبهة ثقافية تمثلت في التصادم بين حضارة الدولة المستعمرة والحضارة العربية الإسلامية)[3]، إلى جانب هذا كله هزت الأمة العربية والإسلامية مصائب كثيرة في مظهرها الداخلي والخارجي، وعلى سبيل المثال: استشهاد البطل عمر المختار بليبيا، ونفي كل من الأمير خالد الجزائري إلى مصر، والسلطان محمد الخامس بالمغرب. وإذا كانت مثل هذه الأحداث عظيمة الوقع على شعوب منطقة آمنت بأن لها تاريخا واحدا، ولغة واحدة، ودنيا واحدا، فإن الأعظم من ذلك ما أُصدر في حقها من محاولة للطعن في عقيدتها تحت مسميات كثيرة أشهرها الظهير البربري.

2. الظهير البربري[4]

ربما من الخطأ الشنيع ربط فكرة الظهير البربري بالحرب العالمية الأولى، لأن بدايتها – حسب البحوث والدراسات– تعود إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، ولم تتوقف ممارسة سياسة هذه الفكرة إلا باستقلال الجزائر. وما أثير من أفكاره حول هذه النقطة كان بسبب مباشر هو التمرد المستمر على القوات الفرنسية من قبل قبائل منطقة المغرب الأقصى والجزائر، أو(بصورة خاصة ما وقع في خنيفرة في شهر تشرين الثاني نوفمبر 1914م حيث تصدى رجال المخزن لرتل من القوات الفرنسية وقتلوا من أفرادها 613 جنديا وجرحوا 1187 جنديا). لقد تلخصت فكرة الظهير البربري في مدى اهتمام رجال الكنيسة والمفكرين والعسكريين أصحاب النزعة الاحتلالية واللعب على التركيبة العرقية لسكان الشمال الافريقي بغية استغلال المؤشر القبلي والديني ظنا منهم أنهما العصب الذي يتحكم في سكان هذا الشمال من القارة الإفريقية. وتأتي الجزائر في طليعة دول الشمال الإفريقي التي كانت ضحية الفكر الأوربي المسيحي، حيث استغلت فرنسا عنصر الأمازيغ في التركيبة السكانية للجزائر وتدخلت بقوة على المستوى الفكري والديني والسياسي ثم عملت على بسط نفوذها بواسطة اذكاء النعرة القبائلية في نفوس أهل المنطقة وتشجيعهم على بناء منظومة حياة شاملة تمردية انفصالية تلقى كامل الدعم والمساندة المادية والقانونية، وذلك انطلاقا من روح وجوهر السياسة الاحتلالية القائلة بأن(سكان إمبراطورتينا من الافريقيين على أنواع مختلفة فمنهم البربر وهم أقرب السكان إلينا، ومنهم العرب وهم أقل الناس استعدادا للتقدم). وعلى ضوء هذه السياسة وتلك الدراسات لتقاليد الأمازيغ وعاداتهم وأعرافهم قصد تدوينها وتقديمها في صيغة نصوص تشريعية تطبق على سكان منطقة القبائل وهكذا صدرت النصوص القانونية (ويأتي ظهير 16 ماي 1930م الذي يصادف صدوره الذكرى المائويه للاحتلال الفرنسي بالجزائر ليعطي كل النصوص السابقة والتوجيهات الإدارية ما كان ينقصها من دعم شرعي)[5].

3. أبعاد الظهير البربري: للظهير البربري بعدان: بعد ديني وبعد سياسي.

أ ــ البعد السياسي للظهير:

للوثائق والنشرات الصادرة عن المستعمرين والمبشرين وما سجله المفكرون والعلماء وكذا ما ذكره أحرار العالم في مؤلفاتهم ومذكراتهم أدلّة لا تدع هامشا للشك من

أن التبشير له روابط فولاذية بالاستعمار، ففي أوروبا نفسها يتم إخضاع الدول المنهزمة إلى قبول الديانة المسيحية بموجب القوانين المدرجة في بنود السلام، وبذلك يربط الغازي عقيدته الجديدة بالقوة وهو أمر خطير(وبمجرد إخضاع إحدى القبائل الألمانية فإن تحولها إلى المسيحية كان يندرج في بنود السلام كثمن يمنح لها نظير تمتعها بحماية الإمبراطور وحكومته الرشيدة التي تحميها جيوشه)[6]، وهذا ما كشفت عنه أقوال المبشرين أنفسهم عقب الانتصارات التي يحققونها، وإذا استمسك المنهزمون بعقائدهم أصبحوا حينها حقلا لتجارب شتى منها المؤامرة والمداهنة والتحرش، حتى إذا استفرغ المستعمر كنانته منها جميعا لجأ إلى القوة، قال المبشر نيل:(وقد استخدم(المستعمر) لذلك كل الأسلحة: المداهنة والخداع والتحريض، وعندما فشل كل ذلك استخدام الإجبار المحض دون مواربة)[7].

أما دول آسيا وإفريقيا وبخاصة شمالها فلم يتوانى المحتل الفرنسي مثلا في تركيع أهلها؛ تارة بالدعوة إلى القبول بتعاليم الدين المسيحي وتارة بدعوى التحضر والتقدم والرقي فإن انكسرت دعاويه على صخور المقاومة لجأ إلى الإبادة وما شابهها، وهو المشهد الذي بيّنه أول نداء الجيوش الفرنسية للشعب الجزائري بعد الاحتلال الذي جاء في مقدمته أن فرنسا لا طمع لها في الأموال والأراضي ولا تريد ترويع الآمنين بقدر ما تريد تنبيه الجزائريين إلى ضرورة تطهير بلادهم من الأتراك المحتلين(إن عساكرنا المنصورة تحيط بكم بأيسر مرام، ودون تعب وأن الله يسلطها عليكم فإنه تعالى كما يأمر من يجعل لهم النصر والظفر بالرحمة والمسامحة على الضعفاء والمظلومين فكذلك يحكم بأشد العذاب على المفسدين في الأرض العابثين على البلاد والعباد فلا بد أنكم إن تعرضتم إلينا بالعداوة والشر هلكتم عن آخركم...)[8].

يغزو المستعمر الأوطان بالحديد والنار، ويخاطب شعوبها بلسان الرحمة والمحبة وقاعدته في ذلك(إذا ضربك أخوك على خدّك الأيمن فأدر له الأيسر)، ثم يخفي الوجه الحقيقي لتعاليم يؤمن بها ويقاتل في سبيلها، مثل التي وردت في إنجيل لوقا ومتىّ على لسان المسيح كما يزعمون. ففي لوقا 12:49-53(جئت لألقي نارا على الأرض، فما أريد لو اضطرمت. أتظنون أني جئت لأعطي سلاما على الأرض؟ كلا.. أقول لكم: بل انقساما، لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين وثلاثة، ينقسم الأب على الابن والابن على الأب، والأم على البنت والبنت على الأم، والحماة

على كنتها والكنّة على حماتها)[9]، وفي متى 10:34-36:(لا تظني أني جئت لألقي سلاما على الأرض، جئت لألقي سلاما، بل سيفا، فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنّة ضد حماتها. وأعداء الإنسان أهل بيته)[10].

صاحب الأفق الواسع لا يصدق بما جاء على لسان الأنبياء والمرسلين في صحائفهم وما تضمنته كتب الفلاسفة والعلماء والعظماء إلا ما كان في خدمة الإنسانية بمختلف أعراقها وأديانها وألوانها، ولا يطمئن إلاّ إلى الشهادات التي خرجت من أفواه كبار المعتدلين من المبشرين أمثال جاك مندلسون* القائل:(حينما تكون حالة الشبان من الإفريقيين سعيدة، فإنهم لا يتعبون من ترديد القصة القديمة: إن المبشرين جاؤوا إلينا وقالوا: إننا نريد أن نعلمكم العبادة، وقلنا حسننا إننا نريد أن نتعلم العبادة. وطلب المبشرون منا أن نغلق أعيننا، وفعلنا ذلك وتعلمنا التعبد، وحين فتحنا أعيننا وجدنا الإنجيل في يدنا ووجدنا أراضينا قد اغتُصبت)[11]، وهذه هي حقيقة المبشرين ورسالتهم مع شعوب العالم لخصها مندلسون في جملة واحدة هي:(ووجدنا أراضينا قد اغتصبت) والعالم كله إلى اليوم شاهد على ذلك بكل تأكيد، وهذا ما دفع بالبعض الى تأليف كتب تهاجم فيها التبشير والاستعمار بل وتعدّهما من أجنحة الدمار وخوافيها[12].

في الجزائر البلد الذي سقط في أيادي الاستعمار الفرنسي وبعد ثلاث سنوات من ذلك الحدث الأليم ذاق شعبه الأمرين: ذاق طعم خسارة الوطن الآمن، وذاق انتقال أملاك الجزائريين إلى غيرهم من المستوطنين، وقد يمثل ما بعث به حمدان خوجة [13] من عرائض[14] إلى رئيس الوزراء ووزير الحرب الدوق(دود الماتي) أصدق تمثيل للتعبير عن الوجه الحقيقي للدولة الفرنسية الاستعمارية صاحبة شعار الحرية والإخاء والمساواة، قال مصورا وضعية المجتمع الجزائري بعدما الأعمال الوحشية للفرنسيين منها السيطرة على المساجد والمزارع والأراضي الخصبة وما إلى ذلك من أملاك السكان الأصليين:(إن الحالة الراهنة لسكان الجزائر لتعطي مثلا للبؤس الذي لم يسمع به قط(في العالم). فكيف يتحدث التاريخ في الأيام المقبلة عن وجود الفرنسين هؤلاء السكان؟ وما هي الوسائل المستعملة بواسطة المدنية والحضارة من أجل غزو هذه البلاد وقهرها؟ وهل من الواجب أن نصدم في أخلاقنا، ونمس في ديننا، ولكن وا أسفاه...)[15]

ب ـــــــ البعد الديني:

للإشارة فإن المسيحية قديمة الوجود في إفريقيا عموما وفي الجزائر بالأخص، وصلت هذه الديانة إلى الجزائر بعدما عرف معتنقو المسيحية في ظل الإمبراطور(أغسطس) في بيت لحم ألوانا من التعذيب والاضطهاد والتنكيل مما دفع بهم إلى الخروج بدينهم إلى جهات متعددة(وسارت قافلة المسيحية تشهر بهذا الدين الجديد في جميع الجهات التي وطئتها أقدامها ومنها هذا الوطن الجزائري، فطالما بحث أهلها عمن يخلصهم من الاضطهاد الروماني فقد بادروا إلى اعتناق هذا الدين الجديد تخلصا من نير استعباد الوثنية والوثنيين)[16]

ويأتي القديس أغسطين(345م-430م) في مقدمة أشهر الجزائريين المعتنقين للمسيحية والذين مثلوا(القمة التي انتهت إليها الحياة الفكرية في إفريقيا المسيحية في أواخر القرن الخامس الميلادي)[17] ، كما يُعدُّ(الكاردينال لافيجري[18] من أهم الشخصيات المسيحية التي أجهدت نفسها في البحث والتنقيب عن الكنيسة المسيحية في الشمال الافريقي بغية رد الشعب الجزائري إلى ديانته الأصلية التي حال بينها وبينه الدين الاسلامي بحسب رؤية لافيجري، وهكذا لم تنج الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي ولا بعيده من المحاولات التبشيرية بأشكالها المتنوعة، وما يؤكد هذا الاتجاه هو سعي فرنسا إلى تنظيم شؤون الديانة المسيحية إحياء لمجد الكنيسة الإفريقية التي اندثرت بعد الفتح الاسلامي في الشمال الإفريقي حيث عمل المبشرون على إبراز أعلامها ومآثرها، وتحمسوا بشدة لبعثها من جديد بعد الاحتلال مباشرة. ويُعزز هذا بقول الجنرال دوما (Dumas):(كلما تعمقنا في الحفر كلما وجدنا تحت القشرة الإسلامية التي تغطي البربري رحيقا مسيحيا، وعند ذلك ندرك بأن القبائلي الذي كان في القديم مسيحيا لم يتحول كليا إلى دينه الجديد(الاسلام)[19].

كما تعد أيضا جمعية الآباء والأخوات البيض من أهم تلك الجمعيات التبشيرية التي نبتت في أرض الجزائر لأسباب عدة، وقد تأسست على مجاعة أصابت الجزائر عدّها مؤسسها(لافيجري) الفرصة السانحة لتنصير أطفال الجزائريين حيث كانت تقدم رغيف الخبز بيد وصليب المسيح باليد الأخرى.

ولمنطقة القبائل مكانة عظيمة في برامج الهيئات والأشخاص العاكفين ليل نهار على نشر التعاليم المسيحية، إذ أن كبار القساوسة يعتقدون مزاعم أن سكان القبائل برابرة كانوا قبل الفتح الإسلامي مسيحيين أجبروا على اعتناق الدين الإسلامي، والآن حان

الوقت لعزلهم عن بقية السكان كخطوة أولى في طريق التنصير لكونهم أسرع الشعوب –بزعمهم– استجابة للانسلاخ عن الحضارة العربية والإسلامية عموما، وهذا ما يفهم من العديد من تصريحات كبار الكاردينالات مثل لافيجري الذي حاول أن يقنع الناس بأن(دما واحدا وأصلا رومانيا واحدا وعلامة مسيحية واحدة خلقت كلها بين القبائل والفرنسيين روابط صادرة من العناية الإلهية)[20] .

إن احتفاء القساوسة بسكان القبائل وخصوصا أطفالهم ومثقفيهم كان من أهم النقاط في برامج التنصير، فقد كان لافيجري لا يترك فرصة أو مناسبة يلتقي فيها بأعوانه وأصدقائه وأتباعه تمر دون توصيتهم بضرورة تعليم الأطفال الجزائريين عموما والقاطنين بمنطقة القبائل خصوصا تاريخ الديانة المسيحية وتذكيرهم بأن أجدادهم وصلوا في الكثير من الأحيان إلى مصاف القديسين في الديانة المسيحية، أما المثقفون ف(يختار المبشرون في غالب الأحيان أفراد النخبة من أبناء الذوات والعائلات الميسورة، ذلك أن نفوذ هؤلاء استفحل في المجتمع وفي هذه الحالة تكون مهمة المبشرين هي تسخير هذا النفوذ لخدمة مخططاتهم كالدعوة إلى النصرانية والدفاع عنى المصالح الاقتصادية والسياسية والثقافية للاستعمار الفرنسي بصفة عامة والأوروبي بصفة خاصة).[21]

مقامنا في هذه العجالة لا يسمح بالتفصيل أكثر في هذه الحوادث التاريخية، إذ بحثنا يركز على المقاومة التي ظهرت في أدبيات الحركة الوطنية إزاء سياسة التنصير، لقد أعلنت الحركة الوطنية عموما والإصلاحية خصوصا عن نفسها تيارا عروبيا إسلاميا إصلاحيا مدافعا عن الهوية الوطنية الجزائرية في إطار ما تسمح به القوانين الفرنسية. وسأتعرض بالتحليل لأسلوبين من أساليب مقاومة النشاط التنصيري في الجزائر فترة الاحتلال:

– الأول يمثله نشاط حر تبناه رواد للحركة الوطنية منذ بداية القرن العشرين وهدفهم الذود عن تاريخ القبائل، ومحاولة إزالة الظلم الذي لحق شعوبها جراء سياسة الاحتلال الفرنسي وفي مقدمتهم أبو يعلى الزواوي وكتابه: تاريخ الزواوة.

– أما الثاني فيمثله التيار الإصلاحي الذي قادته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحافتها وأدبائها وكتابها.

3. 1 الأول: أبو يعلى الزواوي** وكتابه: تاريخ الزواوة

يرتسم مستقبل أية أمة في التاريخ القديم أو الحديث وسواء كان عزيزا أو غير ذلك من خلال ارتباطه بماضيه من حيث النتائج التي تبنى عليها الأمم، فإذا كانت الأمة في ماضيها مجيدة عظيمة محترمة مهيبة الجانب فمن الطبيعي أن يستمر شعور شعوبها بذلك في حاضرها ومستقبلها، لذلك فهي تحرص أشد الحرص في أن تسترد مكانته إن تعرض شيء منه للضياع في فترة من فترات الماضي القريب وحتى البعيد، أما إن كان هذا الماضي غير محترم فإنها تسعى بجد إلى التخلص منه طالبة لنفسها حاضرا أسعد وأرقى يتماشى وسعادة الأمم في حاضرها.

من هذا المنطلق يبدو أن الأمة العربية والإسلامية تملك تراثا متنوعا ثريا حيّا قادرا ـــــ رغم ما تعرفه شعوبها من تشتت وتشرذم وتفسخ ـــــ على أن يحفظ شخصيتها وهويتها باعتبار أن التراث سلاح ضروري لتحقيق ما تؤمن به الشعوب والأمم(وسمة أصيلة من سمات الهوية، به تكتمل عناصرها وبصبغته تصطبغ)[22]، ورواد الحركة الوطنية في الجزائر منذ الإيام الأولى للاحتلال لم يغفلوا عن إدارة صراعهم مع المحتل من هذه الزاوية فقد حاولوا بكل ما أوتوا من طاقات إبداعية في الفكر ووسائل في الدعوة لربط الحاضر التعيس بالماضي المجيد، وخير شاهد على ذلك تراثهم الأدبي؛ الفردي والمؤسساتي، الممتد عبر الحقبة الاستعمارية(1830–1962م). ومن النشاطات الفردية الحرة كتاب: تاريخ الزواوة، للأديب أبو يعلى الزواوي.

جاء في معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض أن الاسم الكامل للأديب هو:(محمد السعيد، أبو يعلى الزواوي)[23]، أما الاسم الموقع لكتاب تاريخ الزواوة فـــ: السعيد بن محمد شريف أبو يعلى الزواوي، ولد في قرية عزازقة بالقبائل الكبرى، غادر الجزائر إلى الشام مع عائلته، ثم رحل إلى مصر أين التقى بالشيخ طاهر الجزائري، وهناك اشتغل بالنشر في المجلات والجرائد ومنها جريدة المؤيد القاهرية، عاد إلى مدارس الجزائر ومساجدها مدرسا وإماما خطيبا يحارب الجهل والخرافات، والتقت جهوده بجهود علماء أسسوا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فكان من أبرز كتابها، توفي بالجزائر العاصمة عام 1952م. ومن آثاره: الإسلام الصحيح وجماعة المسلمين وتاريخ الزواوة.

3. 2 كتاب تاريخ الزواوة

لم يلق كتاب تاريخ الزواوة اهتماما من الدوائر الثقافية للجزائر المستقلة، ولا من

المهتمين فيها بالشؤون الدينية باعتبار كاتبه من علماء الأمة ومن أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فضلا عن كون الكتاب وثيقة هامة حُررت بطلب من أهل منطقة الزواوة أنفسهم لغرض تبيان التاريخ المجيد لسكان القبائل، والرد على المفترين المتآمرين على أنسابهم القائلين بأن أصل قبائل الجزائر رومان وليسوا عربا.

في تاريخ كتاب تاريخ الزواوة مسحة من الغرابة؛ إذ يبدو أن الكتاب لم تتداوله أيدي الناشرين قبل الاستقلال وبعده باعتباره كتاب ألف في سوريا عام 1921م كما كتب في صفحة الكتاب الأصلية، ثم تولى سهيل الخالدي إعادة طبعه عام 2005م بعد أن عثر عليه لأول مرة عام 1987م، قال:(لما كنت في دمشق الشام مارس 1987م- 1991م قادما إليها من ليماسول في قبرص...وأثناء مراجعتي للفهارس في مكتبة الأسد حرف الزاي وجدت اسم الزواوي وبجانبه اسم الكتاب تاريخ الزواوة طلبته من الموظف فلما أتاني به طلبت تصويره على الفور، وفي نفس اليوم انتقلت إلى مكتبة الظاهرية وبحثت عنه في فهارسها وصورته وهكذا اجتمعت لدي نسختان مصورتان. وعدت إلى بيتي كمن عثر على كنز)[24]، وموطن الغرابة أن بين سنة تأليف الكتاب وسنة العثور عليه أكثر من ستين سنة في حين أن كُتّاب الأدب الجزائر باللغة الفرنسية ترجمت مؤلفاتهم إلى العربية وتداولها القراء في البلاد العربية أكثر مما تداولها القراء بالفرنسية ولاقى مؤلفوها التبجيل والاحترام مالم يلاقوه من فرنسا التي كتبوا بلغتها أمثال رواية نجمة للكاتب كاتب ياسين.

3.3 محتوى الكتاب

كتاب تاريخ الزواوة من الحجم الصغير طبع لأول مرة في مطبعة الفيحاء بدمشق على نفقة رجل من المهاجرين الجزائريين اسمه عمر بن طيب الزواوي، أهداه صاحبه إلى السيد ابن علي الشريف الهاشمي العلوي الفاطمي الزواوي قائلا:(مولاي كان لتاريخ الزواوة شأن عظيم، وأنتم من الأعاظم، وكان لهم نسب كريم وأنتم من الأكارم، أما وقد كان أو كاد ينسى فاقبل مني أن أجدده لعلنا نتأسى كما قال الأول:

فتأسوا بمن مضى إذا ظلمتم فالتّأسي للنفس فيه عزاء

فأهديه إلى سيادتكم العظمى، ولكم فيه الكلمة العليا)[25].

أما عن سبب تأليف الزواوي للكتاب فقد صرح به في البداية وهو محاولة إعادة الاعتبار لتاريخ منطقة القبائل التي احتضنت الاسلام والعربية، وصنعت بعلمائها مجدا

عربيا في الشمال الإفريقي حتى يتأسى به الأجيال(وكادت شهرة تلك القبائل الصنهاجية تكون طامسة لأعلام مجهولة، لأسباب كثيرة وقضايا منها ما هي مقبولة ومنها ما هي مزورة ومردودة، تحرك لساني واستنجدني الظاعن والقاطن، فأردت أن أضع كتابا صغير الحجم كثير العلم، كنموذج من تاريخ الزواوة، مقتصرا على تبيين نسبهم وذكر شيء من فضائلهم وما قيل فيهم وما كان لأوائلهم، ليكون النشء الجديد على بصيرة من سلفهم، ليعلموا ما كان من أمرهم وليقتدوا بكل فعل مجيد، وينبذوا كل ما هو غير سديد لعلهم يأخذون بعض القديم وبعض الجديد, وألتزم الأحماض فيه لتنشيط قارئيه لأنفخ فيهم روحا قوية وأبعث منهم ذوي همم عليه)[26].

ومن يدري لعل هذه من الأسباب كانت سببا في إدراج اسم هذا الكتاب ضمن قائمة الممنوعات من الدخول إلى القطر الجزائري، وخاصة أنه أُلّف بلغته عربية فصيحة مفهومة بعيدة عن التكلف، وأن أسلوبه(أقرب إلى أسلوب المحدثين منه إلى أسلوب القدامى رغم ما فيه من السجع)[27].

ضم هذا الكتاب سبعة فصول(الفصل الأول في فضل التاريخ والثاني في فضل نسب الزواوة والفصل الثالث في محامدهم وخصائصهم والفصل الرابع في زواياهم وعلمائهم وخدمتهم العربية. الفصل الخامس في بعض عاداتهم. الفصل السادس في الإصلاح المطلوب. الفصل السابع في لائحة التعليم المقترح وبيان طرق التعليم[28].

حينما يتأمل القارئ في مضمون كتاب تاريخ الزواوة يدرك قيمته الحضارية والوطنية في المقاومة الثقافية التي تبناها في إطار الحركة الوطنية الجزائرية منذ أوائل القرن العشرين حتى الحرب العالمية الثانية، ولعل هذا الكتاب – كما نبه الجزائريين لمؤامرة فرق تسد – فقد أسس لرواد الحركة الوطنية في هذه الفترة طريقا لكتابة تاريخ الجزائر مثل ما ما قام به كل من مبارك الميلي وعبد الرحمان الجلالي في تأليف كتابيهما حول تاريخ الجزائر[29].

وفي الكتاب نتيجة أكد من خلالها أبو يعلى الزواوي أن الزواوة عرب لاشك في ذلك قال:(فالزواوة إذن عرب مستعربة وعرب عربا بأصلهم المتقدم، ثم إن كثيرا من الأخلاق والعادات والطباع في البربر متماثلة ومتمازجة بطبائع العرب كاتخاذ البيوت من الشعر والوبر والطين والحجر والظعن والإقامة وكسب الشتاء وحلق الرأس والشجاعة والكرم والقرى والانتجاع والارتياد وركوب الخيل وكسب النعم والإبل والبقر

والغنم إلى غير ذلك مما لا يكاد يستقرأ، وكلها أحكام الاستعراب والله يحكم لا معقب لحكمه وهو جل شأنه سريع الحساب)[30].

وفي محامدهم قال:(محامد الزواوة جمعهم أشتات محاسن العرب والعجم والبربر، فتجدهم عربا في الشجاعة والكرم وشدة الأنفة والغيرة وإباية الضيم وحماية الجار والذمار والمحافظة على الأعراض والنزوع إلى الحرية إلى غير ذلك مما يلزم الفخر العرب...)[31].

4. 1 الثاني: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

رغم ما حدث لهذا المولود الجديد من محاولات لاحتوائه أو لي ذراعه بعد عام واحد فقط من ميلاده، إلا أنه برهن بصورة أو أخرى أن له القدرة الكافية، ليس على الخوض فيما اشتهرت به تلك الجمعيات الدينية الرسمية التابعة للإدارة الفرنسية، بل على مقارعة المحتل في سياسته الداخلية والخارجية، وذلك بفضح سلوكه والتحذير من سياساته.

أؤكد أن تصريح الجمعية في قانونها الأساسي كان: جمعية إرشادية تهذيبية، وأنها ممنوعة بأي حال من الأحوال من ممارسة السياسية، إلا أنها(كانت تناور وتعمل على أن يكون لها موقف سياسي في كل قضايا المغرب العربي، فاهتماماتها بالقادة السياسيين والمفكرين ومتابعاتها كتيارات الحركات الوطنية في كل بلد، وتحمسها لما ينفع وحدة المغرب العربي على أساس العروبة والإسلام والشخصية الحضارية المتميزة عن الحضارة الأوروبية المعجونة بالاستعمار والمسيحية)[32]. إذا فمهموم الجمعية لمقاومة سياسات المحتل لم يأت وليد عام 1931م، أو وليد نزوة رجال دين فاض حماسهم فابتغوا الشهرة والألمعية،(وليس هو المفهوم الشكلي القديم لأولئك الذين تثقفوا ثقافة دينية بحتة، بل أولئك الذين جمعوا العلوم التقليدية والعقلية والمتشبعون بالأفكار السياسية تشبعا متينا، والذين رأوا أن الوقت حان لبعث جزائر قومية ذات منهاج دفاعي تحرري في آن واحد)[33].

4. 2 صحف الجمعية الأولى والظهير البربري

الصحافة لسان الأمة، و"السنة النبوية المحمدية، والشريعة النبوية المحمدية، والصراط السوي" وبعدها "البصائر" الأولى والثانية جرائد أصدرتها جمعية العلماء، وهي التي تبين لنا وجه الصراع المرير للجزائريين والمحتل لأرضهم وبخاصة في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، لأن المتمعن في هذه الجرائد يدرك حجم الحملات التوعوية التي فكت

الجمعية من خلالها أرقاما مشفرة في فكر المحتل الفرنسي، ومنها فكرة الظهير البربري، وهذه عناوين مقالات بأقلام أصحابها دليل على الاهتمام البالغ لمثل هذه السياسة:

عنوان المقال	الكاتب	المجلة	العدد	الصفحة
براءة القبائل من الحافظي إلى أهالي زواوة	المسعود بن علي	السنة	12	8
براءة القبائليين من شيخ الحلول	م السعبد الزاهري	السنة	12	5
براءة القبائليين من شيخ الحلول	ــــــــــــــ	الشريعة	6	7
ألف وسبعمائة يرتدون	ــــــــــــــ	الشريعة	7	7
في يوم 32/03/23	م السعيد الزاهري	الشريعة	2	6
بلاد القبائل والطريقة الحلولية	م السعيد الزاهري	الشريعة	2	4
براءة القبائليين من شيخ الحلول	الفتى الزواوي	الصراط	4	7
براءة القبائليين من شيخ الحلول	ــــــــــــــ	الصراط	1	3
براءة القبائليين من شيخ الحلول	ــــــــــــــ	الصراط	3	7
تأثير العلماء براءة من الحلول	ــــــــــــــ	الصراط	5	7
بلاد القبائل والطريقة الحلولية	الحبيب بن الحاج	الصراط	17	2
بلاد القبائل والطريقة الحلولية	الفتى الزواوي	الصراط	2	7
براءة القبائليين من شيخ الحلول	ــــــــــــــ	الصراط	3	8

5. معالجة محمد السعيد الزاهري لفكرة التمسيح

محمد السعيد الزاهري عضو إداري نشط في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومن تلاميذ ابن باديس، بسكري المولد، كتاني وزيتوني التكوين، نوهت بمجهوداته أقلام شخصيات معروفة، منها ابن باديس الذي أثنى على كتابه(الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير) بقولة: (وعرفناه في هذا الكتاب داعية إسلاميا كبيرا)[34]، وتلك جملة تكفينا كشهادة.

أما نشاطات الزاهري فكثيرة منها: إصداره لجريدة "الجزائر" وجريدة "البرق" وثلاث جرائد بمعية الطيب العقبي في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، منها جريدة "الشريعة النبوية المحمدية" التي تتجلى فيها معالجة فكرة الظهير البربري، والباحثون حينما يستنطقوا مقال الزاهري مثلا ابتداء من عنوانه "ألف وسبعمائة مسلم يرتدون عن الإسلام"، وإنهاء بخاتمته، ومرورا بالأخبار الحزينة في تلك الفترة يلمس حجم الكارثة التي تعرضت لها الجزائر في ظل الاحتلال، وكذلك قوة الصدمة لدى أعضاء الجمعية الذين حملوا على عاتقهم تنوير الشعب بأفكار أقلها الدعوة إلى التململ من الأوضاع والتمرد على المحتل، ثم الثورة على من كان سببا في ذلك.

1.5 مناسبة المقال :

في 23 ماي من عام 1931 تجمع رجال الكنيسة والكاثوليك والآباء البيض في احتفال بهيج عظيم تغمره البهجة والأفراح بمناسبة هي من أسعد مناسباتهم في الجزائر ـــــ ربما وفقط ـــــ إذ استطاع هؤلاء مجتمعين، وبجهود بذلوها، وبشتى الوسائل إخراج ألف وسبعمائة مسلم جزائري من الإسلام وإدخالهم في النصرانية .

أما الجزائريون فقد اعتبروا ذلك اليوم يوم حداد بل يوما من أشد الأيام شؤما وسوادا. حزن أهالي الجزائر حزنا عميقا وتألموا لذلك ألما شديدا جراء انتشار خبر هذا الاحتفال.

الحدث : استعرض رجال الكنائس عضلاتهم التنصيرية على مسرح الاحتفال بضاعة تمثلت في أطفال جزائريين تم تنصيرهم، أمام حضور غفير من الأوروبيين الأجانب، كانت على محياهم علامات الحيرة والدهشة وكأنهم لم تصدقوا خبر تنصير أطفال الجزائر، أو كأنهم في حلم، لأنهم يعرفون قوة تعلق الجزائري بعقيدته الإسلامية، لكن علامات الغمز واللمز لم تفارق جلسة الأجانب، خاصة ضحكاتهم المنتقدة للباس هؤلاء الأطفال الذين وقعوا في شباك النصرانية ـــــ ولسان كل طائفة حضرت الاحتفال تتمنى أن لو هي التي ظفرت بتلك الغنيمة خالصة لها دون غيرها.

أما الأطفال الجزائريون المنتصرون فكان حالهم يثير الهموم والأحزان، ويهيج الأشجان؛ وجوههم سوداء من الغم والكآبة، تنم على نفوس يمزقها العذاب وقلوب يقلقها الاضطراب.

2.5 أسئلة وإجابة:

وحينما كان الأطفال المتنصرون في استعراض أمام المتفرجين من الآباء البيض

ورجال الكنائس، تساءل الزاهري بين جنبيه ـــــــــ ووجود هذا العضو الإداري للجمعية شاهد على حضورها في شتى مناحي الحياة الجزائرية آنذاك ـــــــــ إن أبرياء مثل هؤلاء في هذا المكان لدليل على أن آباءهم بلغ بهم الفقر مبلغه، ولو أن المبشرين المسيحيين كانت لهم الهمة والرجولة لما رضوا لأنفسهم أن يستفيدوا مما يصيب الناس من المصائب والنكبات ؟ ثم أفضى إلى زميل له بذلك، فما كان من مسيحي يقف بجانبهما مسترقا للسمع إلا أن رد سريعا: لقد أحسن رجال الكنائس إلى هؤلاء الأطفال وأحسنوا إليكم أيضا. فرد الزاهري موضحا: إن مثل هذا الفعل لا يخدم مسلمي الجزائر، بل سلوك هؤلاء المسحيين معنا لا يدل لا على تحضرهم ولا على إحسانهم لغيرهم. وفي نهاية المقالة يخلص الزاهري في مقاله إلى نتيجة هي أن:

أسباب تنصر المسلمين في الجزائر على الأقل ثلاثة أسباب لا رابع لها(... أما الأول فهو الفقر، وأما الثاني فهو الجهل، وأما الثالث فهو العجز أو الضعف أو القصور "سمه بما شئت ". ومن هذه الأسباب جاءتنا كل المصائب والويلات)[35].

لكن من المسئول عن تنصير الأطفال في الجزائر؟

سؤال وجيه طرحه صاحب المقالة على نفسه، ثم نشر إجابته على صفحات جريدة الشريعة ليبين للناس جميعا رأي جمعية العلماء في مسألة تنصير أطفال الجزائر حتى لا تذهب أفكارهم إلى إجابات بعيدة على السبب الحقيقي وهو: المحتل وأعوانه.

ويدرك القارئ لهذه المقالة كيفية معالجة رجالات الجمعية لمسألة الظهير، فأفكارهم واضحة لا تلبسها خزعبلات، لا لف فيها ولا دوران، ومفرداتهم وتراكيب جملهم التي تكشف عن مكنونها بعيدة كل البعد عن الغرابة والغموض والإبهام، وكل ما من شأنه يحجب عن القارئ ولو جزءا بسيطا من الحقيقة الكاملة.

وكان جواب الزاهري بالبساطة الآتية شكلا ومضمونا:

(والجواب على هذا هو سهل ويسير، لا عسر فيه ولا عناء. فالواقع الذي لا شك فيه هو أنه ليس في هؤلاء المتنصرين ولا واحد قد ترك الإسلام بملء إرادته طائعا مختارا، ولكن جمعتهم على التنصير عوامل أخرى غير الطواعية والاختيار..... إن الأغنياء من أشياخ الطرق الصوفية الذين جمعوا من فقراء المسلمين باسم الصدقات والنذور والزيارات أموالا طائلة ... وأنفقوها في الأهواء والشهوات... هم المسئولون على الخصوص أمام الله عن هذا المصاب الذي حل بالإسلام في هذه البلاد... ثم

المسلمون جميعا في هذا الوطن هم أيضا مسئولون أمام الله وأمام الشعوب الأخرى عن هذه الويلات التي تحل بالإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم... والحكومة أيضا(وهي حكومة لائكيه) تحمل هي الأخرى على عاتقها من مسؤولية هذا الأمر نصيبا موفورا ...)[36].

إذا أصابع الاتهام موجهة على الترتيب ووضوح تام(حسب الزاهري) إلى:

-الأغنياء من شيوخ الطرفية.

- المسلمين في الجزائر.

- الحكومة الفرنسية.

إن عبقرية الزاهري في هذه المقالة تتجلى بوضوح خاصة بعدما حدد المسئول الحقيق لما حز في قلوب الجزائريين وأدمع أعينهم في ذلك اليوم المشئوم، ثم أردف ذلك بلوم عميق على فرنسا العلمانية وكأنه يريد أن يشعل فتيل الثورة في قلوب الشعب الجزائري لينتفض بقوة لعله يتمكن من استرداد حقه الضائع. إن فرنسا هي التي منعت الجمعية من احتضان أولئك الأطفال فتشردوا قائلا:(وهي بموقفها هذا قد مهدت السبيل من حيث تدري أو من حيث لا تدري للمبشرين لكي يكتسحوا الإسلام من هذه الديار)[37] ، ثم إن فرنسا لم تعترض على ما فعله المبشرون(إذ قاموا يشنون الغارة على ديننا ويختطفون أطفالنا ويختلسون منهم ما في قلوبهم من عقيدة وإيمان)[38].

والزاهري لا يجهل سبب وقوف فرنسا مع المبشرين، فالأصل كما يقول – واضح إذ الجزائر في نظر سياستها ومثقفيها(بنت روما البكر، وأنها كانت مستعمرة لروما وجاء العرب فاحتلوها وغزوها معتدين، وجاء الأتراك بعدهم فاحتلوها كذلك وغزوها واستعمروها، وجئنا نحن أبناء فرنسا لنعيد الأشياء إلى موضعها وهو استئناف إرث روما جدتنا في وضع طبيعي)[39]. وإذا أردنا الدقة أكثر فسكان الجزائر عرب وبربر(ولا سيما أهالي زواوة كانوا نصارى قبل أن يكونوا مسلمين ويزعمون(أي خصوم المسلمين من فرنسا) أنهم لا يخلصون الود لفرنسا إلا إذا عادوا نصارى كما كانوا، ولهذا يطلبون من الحكومة أن تساعد الآباء البيض على تنصير من في هذه الأرض من المسلمين جميعا)[40].

إن بضاعة الزاهري التي يدافع بها عن الشعب الجزائري أمام هذه الهجمة النصرانية ومن يساندها، تنم عن حنكته السياسية، وتمرسه في ميدانها، لذلك نجده يرد تلك الدعوى

من حيث الواقع بأن الشعب الجزائري قد قاتل يوما إلى صف فرنسا ضد ألمانيا، ثم يطرح فرضية أخرى جديرة بالاهتمام وهي: لو فتحت فرنسا العلمانية الطريق أمام المنصرين في أرض الجزائر وصارت البلاد كلها مسيحية فإن الأوضاع تزداد سوءا وتدهورا(فالمتنصرون يومئذ لا يرضون من فرنسا بهذه الحقوق التي نطلبها نحن بل هم لا محالة سيطالبونها بالجلاء عن البلاد ولا يرضون منها بغير الاستقلال الناجز التام، وهم بلا شك سيجدون يومئذ من أمم أوروبا المسيحية وشعوبها كثيرا من الأنصار والأعوان، وأمم أوروبا وإن كانت تبيح الاستعمار فهي لا ترضى بأي وجه لأية أمة مسيحية مهما كانت جاهلة منحطة أن تستعمرها أمة أخرى أقوى منها)[41].

ويختم الزاهري مقالته بنصيحتين تنبئ الأولى عن أسلوب المُدارات والدهاء اللذين كثيرا ما يلجأ إليه أعضاء جمعية العلماء في تعاملهم مع قضايا تمس الدولة الفرنسية، أما الثانية فعن ضرورة استشعار علماء الجزائر بعظم المسؤولية الملقاة على كواهلهم، والإسراع في علاج ظاهرة تنصير الجزائريين دون وجل وقبل فوات الأوان.

النصيحة الأولى لفرنسا:(إنه من الخير لفرنسا أن يبقى هذا الشعب عربيا مسلما يقاسمها السراء والضراء، وليس من الخير لها أن يترُك الإسلام ويَصير مسيحيا لا يرضيه منها شيء)[42].

النصيحة الثانية للجزائريين ، يذكرهم فيها بالعدد الكبير من الأطفال الذين تم تنصيرهم وتلك(في نظره) كبيرة من الكبائر، وعظيمة من العظائم، وإذا استمر الوضع كذلك فهي الطامة الكبرى، ثم دعاهم بعد ذلك إلى الإسراع في المعالجة قبل فوات الأوان، ومن أجل أن تكون نصيحته الثانية ناصعة لا يخالطها الغموض، طلب منهم التحرك لإنقاذ أطفال الجزائر حتى (لا تذهب أنفسنا عليهم حسرات)[43].

6. خاتمة:

من كل ما سبق يتضح لنا:

- أن الجزائر ممثلة في الفكر الفردي الحر ومؤسسات مجتمعها خاصة في أوائل القرن العشرين لم تكن غافلة عن النشاط الديني والسياسي لفرنسا الاستعمارية وعن مؤامرات قياداتها العسكرية والكنسية لإيقاع الشباب الجزائري في شباك النصرانية، فضلا عن أن الجزائريين تيقنوا أن الظهير البربري محاولة استعمارية للفتّ من قوة العرب والمسلمين

والإساءة إلى وحدة شعوبهم والطعن في الاسلام.

- أن رواد الحركة الوطنية والإصلاحية في الجزائر لم يترددوا في مقاومة جميع الأخطار المهددة لثوابت الأمة الجزائرية بكل الوسائل المتاحة لهم، ومنها إصدار الصحف والمجلات المتنوعة في طرق الرد على الفكر الكنسي والقومي لفرنسا الاستعمارية الرامي إلى سلخ الشعب الجزائري عن أمته العربية والإسلامية.
- أن حركة التأليف كانت زمن الاحتلال حاضرة من أجل مقاومة المسخ الثقافي الموجه ضد القبائل وسكانها.
- أن فنون الأدب الجزائري النثرية شاركت غيرها في مقاومة تلك الظاهرة الموسومة بالظهير البربري، متأثرة في ذلك بأفكار علماء الأمة العربية والإسلامية وأدبائها في الطرح وسبل التصدي، أمثال محمد عبده وجمال الدين الأفغاني.
- أن كتاب(تاريخ الزواوة) جدير بأن يكون أحد المراجع للتاريخ الجزائري في المدارس والجامعات، وأن تكون فصوله محورا للرسائل في الجامعات والمعاهد الجزائرية.

5. الهوامش

[1] – أبو القاسم، سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية 1900ـــــــــــ 1930، ج2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط4، 1992، ص 288.

[2]– م ن، ص 294.

[3] – ابو القاسم، سعد الله :أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج4، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1996، ص 149.

[4] - هناك تسميات كثيرة للمصطلح، ففي أدبيات الحركة الوطنية: الظهير البربري، وعند السياسيين الفرنسيين: القانون المنظم للمحاكم البربرية.

[5] – بسام العسلي: الأمير خالد الهاشمي الجزائري والدفاع عن جزائر الاسلام، دار النفائس،ط2، 1984، ص 54 .

[6] – أحمد عبد الوهاب: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، ط 1، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1981، ص91.

[7] – المرجع نفسه عن A HISTORY OF EUROPE, THE FONTANA LYBRARY, H.A Fissher:LONDON, 1964.، ص 94. وقد تضمن كتاب: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر في فصله الخامس حقائق تاريخية تصب كلها في كيفية سيطرة المسيحية على مستعمرات في أروبا نفسها، وللتفاصيل أكثر يمكن العودة إلى الصفحة 91 وما يليها.

[8] – عبد الحميد بوزوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900م، د ط، موفم للنشر، د ت، ص28.

[9] – أحمد عبد الوهاب: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، ص 121.

[10] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[*] جاك مندلسون كاتب وفنان صاحب كتاب: الرب والله وجوجو الأديان الإفريقية المعاصرة. ترجمه إلى العربية: إبراهيم سعد محمد، دار المعارف بمصر1971م، به 252 صفحة.

[11] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها ص133.

[12] – ينظر كتاب: أجنحة الدمار الثلاثة وخوافيها، التبشير والاستشراق والاستعمار دراسة وتحليل وتوجيه، ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري، ط 8، لعبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، سوريا، 2000م.

[13] – أحد رواد الحركة الوطنية في الجزائر ومن مواليد 1775م، من الكراغلة في المجتمع الجزائري، أسرته من أغنياء الجزائر وأعيانها، سافر إلى دول عربية وإسلامية وأوربية كثيرة، وبعد أول رجل عربي نفي من وطنه بسبب معارضته للسياسة الاستعمارية، اشتغل بالتأليف والترجمة والتحرير لجريدة: تقويم وقائع، توفي عام 1840م، من مؤلفاته: إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء ، حكمة العارف بوجه ينفع المسألة ليس في الإمكان أنفع، المرآة وقد عدت الحكومة الفرنسية وقت صدوره أن الكتاب وثيقة خطيرة يهدد الوجود الفرنسي في الجزائر، وأن صاحبه المحرض الأول في الجزائر على الفتن. لمزيد من المعلومات ينظر كتاب: محمد

الطيب، عقاب: حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي، وزارة الثقافة، عاصمة الثقافة، الجزائر، 2007،

[14] – ينظر، محمد الطيب، عقاب: حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص 49 والتي تليها.

[15] – المرجع نفسه، ص63.

[16] – عبد الرحمن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج1، ط2، مكتبة دار الكتب الحديثة، بيروت، لبنان، سنة 1965م، ص95.

[17] – عبد الرحمن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج1، ط2، مكتبة دار الكتب الحديثة، بيروت، لبنان، سنة 1965م، ص96.

[18] – صدر عن دار الشروق للطباعة والنشر مؤلف مهم في هذا المجال للأستاذ سعيدي مزيان بعنوان:" النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1867– 1892 " الطبعة الأولى 2009م والكتاب في أصله بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير تمت مناقشتها عام 1999م ويحتوي الكتاب على 550 صفحة عالج من خلالها إشكالية النشاط التبشيري للكاردينال لافيجري في الجزائر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر(1867–1892م) في ثلاث مناطق هي: القبائل والشلف والهقار. وتأتي دراسة الاستاذ سعيدي مزيان تتويجا لجهود باحثين آخرين عالجوا الظاهرة التبشيرية في الجزائر أمثال خديجة بقطاش (الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر18711830 – وعليّ محمد الطاهر(التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904)، وابن حمو محمد (التبشير الاستشراقي في الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر). وشارل لافيجري كما قال محمد الهادي الحسني في جريدة الشروق 13 ديسمبر2016م:(إن شارل لافيجري ليس شخصا عاديا، بل هو شخصية كبيرة عند الفرنسيين ولم يطلقوا اسمه إلا على الشوارع الهامة والساحات الكبرى.

[19] – محمد الطاهر وعلي: التعليم التبشيري في الجزائر من 1830إلى 1904م، دراسة تاريخية تحليلية، منشورات دحلب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2009م، ص 61.عن: goyau(Georges),UN, Grand Missionnaire Le Cardinal Lavigerie. Paris, Plan, 1925, pp.74-75.

[20] – محمد الطاهر وعلي، ص 59 عن Mgr Baunard le Cardinal Lavigerie T.I Paris. De Gigord 1922 ,p.401.م.

[21] – محمد الطاهر وعلي ، ص 75

* * هناك اختلاف في تحديد ميلاد (أبو يعلى الزواوي)، ففي معجم أعلام الدوائر لعادل نويهض أن عام الميلاد كان 1878م في حين يذهب أبو القاسم سعد الله في كتابه: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر أن ذلك تمت حوالي 1862م بقرية تعاروست بزواوة، غير أن سهيل الخالدي الذي راجع وعلق على كتاب أبي يعلى الزواوي: تاريخ زواوة يرجح سنة 1865م . زار عدة بلدان عربية وأوربية، وتوفي عام 1952م، ترك عدة آثار: مؤلفات ومخطوطات ومقالات منشورة في صحف الوطن وخارجه. ولمزيد من المعلومات حول: أبو يعلى الزواوي ينظر موقع سليمان محمدي في الشبكة العنكبوتية، تراجم علماء الجزائر.

[22] – عبد العزيز بن عثمان، التويجر: التراث والهوية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـــــ إيسيسكو ـــــ 1432هـ/ 2011 م، ص7.

[23] – عادل نوهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1980، ص164.

[24] – أبو يعلى الزواوي: تاريخ الزواوة، ط1، مراجعة وتعليق سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة الجزائر، 2005م، ص9.

[25] – المصدر نفسه، ص81.

[26] – المصد نفسه، ص83.

[27] – المصد نفسه، ص16.

[28] – المصد نفسه، ص83.

[29] – تاريخ الجزائر في القديم والحديث لمبارك الميلي، وتاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن الجيلالي.

[30] – – أبو يعلى الزواوي: تاريخ الزواوة، ط1، ص101.

[31] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[32]– أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص105.

[33] – نصر الدين الجويني :(جمعية العلماء المسلمين بين الدين والسياسة)، المجلة التاريخية، ع 49،50،جوان 1988، تونس، ص 105.

[34] – محمد السعيد، الزاهري: الاسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، دار الكتب، الجزائر،1983، ص 9 .

[35] – محمد السعيد، الزاهري :(ألف وسبعمائة مسلم يرتدون عن دينهم الحنيف ويعتنقون النصرانية الكاثوليكية)، جريدة الشريعة النبوية المحمدية، ع 2، 1933، ص 6.

[36] – م ن، ص7 .

[37] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[38] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[39]– نايت بلقاسم، مولود بلقاسم : إنية وأصالة، وزارة الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة،الجزائر،1975، ص 213 .

[40] – محمد السعيد، الزاهري : ألف وسبعمائة طفل يرتدون، مرجع سابق، ص6.

[41]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[42] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[43] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

المصادر والمراجع

1– أحمد عبد الوهاب: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، ط 1،1981، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.

2– بسام العسلي: الأمير خالد الهاشمي الجزائري والدفاع عن جزائر الاسلام، 1984م، دار النفائس، ط2.

3– عبد الحميد بوزوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830–1900م، د ط، موفم للنشر، د ت.

4– عبد الرحمن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج1، ط2، سنة 1965م، مكتبة دار الكتب الحديثة، بيروت، لبنان.

5– عادل نوهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، ط2، 1980، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان.

6- عبد العزيز بن عثمان، التويجر: التراث والهوية، 1432هـ/ 2011 م، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـــ إيسيسكو ـــ

7- أبو القاسم، سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية 1900ـــــــــ 1930، ج2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط4، 1992، ص 288.

8- ابو القاسم، سعد الله :أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج4، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1996.

9- أبو يعلى الزواوي: تاريخ الزواوة، ط1، مراجعة وتعليق سهيل الخالدي، 2005م، منشورات وزارة الثقافة الجزائر.

10- محمد السعيد، الزاهري: الاسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، 1983، دار الكتب، الجزائر،.

11- جريدة الشريعة النبوبة المحمدية، محمد السعيد، الزاهري ع 2، 1933.

12- محمد الطيب، عقاب: حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م

13- محمد الطاهر وعلي: التعليم التبشيري في الجزائر من 1830إلى 1904م، دراسة تاريخية تحليلية، 2009م ، منشورات دحلب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر.

14- نايت بلقاسم، مولود بلقاسم: إنية وأصالة، 1975م.، وزارة الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر.

15- نصر الدين الجويني :(جمعية العلماء المسلمين بين الدين والسياسة)، المجلة التاريخية، ع 49،50، جوان 1988، تونس.